هدف الاستشراق إبَّان نشأته الأولى

يحدد المستشرق الألماني المعاصر Rudi paret هدف الاستشراق في وضوح وصراحة وجرأة، فيقول: «كان الهدف من هذه الجهود – الاستشراقية – في ذلك العصر، وفي القرون التالية هو التبشير، وهو إقناع المسلمين وبلغتهم ببطلان الإسلام، واجتذابهم إلى الدين المسيحي[1] ويقول بارت كذلك:

«كان موقف الغرب النصراني – في العصور الوسطى – من الإسلام، هو موقف الدفع والمشاحنة فحسب. حقيقة إن العلماء ورجال اللاهوت – في العصر الوسيط – كانوا يتصلون بالمصادر الأولى (الأصلية) في تعرفهم على الإسلام، وكانوا يتصلون بها على نطاق كبير، ولكن كل محاولة لتقييم الإسلام – على نحو موضوعي – كانت تصطدم بحكم سابق يتمثل في أن هذا الدين المعادي للمسيحية لا يمكن أن يكون فيه خير. وهكذا كان الناس لا يولون تصديقهم إلا تلك المعلومات التي تتفق مع هذا الرأي المقرر من قبل، وكانوا يتلقون منهم كل الأخبار التي تلوح لهم مسيئة إلى النبي العربي وإلى الإسلام[2].

كان الإسلام كما يقول (Southern) يمثل مشكلة بعيدة المدى بالنسبة للعالم النصراني في أوروبا على كافة المستويات؛ فباعتباره مشكلة عملية استدعى الأمر اتخاذ إجراءات معينة بالصليبية والدعوة إلى النصرانية، وباعتباره مشكلة لاهوتية تطلب – بإلحاح – العديد من الإجابات على العديد من الأسئلة في هذا الصدد؛

(1) رودي بارت، مرجع سابق، ص9.

(2) المرجع السابق ص1 –، وانظر ص15.

وذلك يقتضي معرفة الحقائق التي لم يكن من السهل معرفتها، وهنا ظهرت مشكلة تاريخية صار من المتعذر حلها، كما ندر إمكانية تناولها دون معرفة أدبية ولغوية يصعب اكتسابها، وصارت المشكلة أكثر تعقيدًا بسبب السرية والتعصب والرغبة القوية في عدم معرفتها خشية الدنس[1].

وقد صور مكسيم رودنسون- بألفاظ مشابهة- مقدار الهلع والخوف الذي اجتاح رجال الكنيسة في الغرب من الإسلام، فقال: «كان المسلمون خطرًا على الغرب قبل أن يصبحوا مشكلة، كما كانوا في نفس الوقت عامل اهتزاز شديد في بنيان الوحدة الروحية للغرب، وأنموذجًا حضاريًّا يجتاز بتفوقه، وبحركته الإبداعية المتسارعة، وقدرته الهائلة على الانفتاح والاستيعاب. إذ أنه- وفي مواجهة تقدم هذا الأنموذج عبَّر مثقفو الغرب عن شعور عام بالاندهاش أمام الإسلام، وبدا ذلك لهم وكأنه خطر على المسيحية[2]. امتلأ الغربيون بالإحساس بالنقص إزاء الدين الإسلامي وحضارته المتفوقة المزدهرة، ودفعهم شعورهم المتزايد بالخوف والمرارة- بعد فشلهم المريع في حروبهم الصليبية - إلى البحث عن خطط بديلة تحقق أهداف الحروب الصليبية دون مواجهة عسكرية بحيث تؤدي إلى تشويه الإسلام في أعين الغربيين وصرفهم عنه، كما تعمل- في صمت وهدوء- على تحقيق نصر على هذا الإسلام[3].

ولقد أسهمت كتابات يوحنا الدمشقي (675 - 749م) الذي يعد اللاهوتي المسيحي الأول الذي يسجل عن الإسلام أنه (هرقطة) أي بدعة مسيحية، وأن الإسلام ديانة زائفة، وأن (الله) ليس هو الرب أو السيد كما يعتقد فيه النصارى، وأن الإسلام قد اخترعه محمد (ﷺ) بدوافع الطموح الشخصي، وأنه قد نشره بحد

(1) Southern R.W. Western Views of Islam In the Middle Ages. Cambridge. 1962PP7 - 14

(2) مكسيم رودنسون: عن د. مدكور في دراسات في الفكر الإسلامي نشر في مكتبة الزهراء.

(3) إدوارد سعيد (عن مكسيم رودنسون).

السيف[1] أسهم ذلك التشخيص المبكر في تشكيل صورة محمد ﷺ في الغرب، وزادوا عليها أنه لم تبشر به الكتب السابقة، ولم تجرِ المعجزات على يديه، ولم يوحَ إليه بالأسرار، وأن أي إنسان يمكن أن يصنع ما صنعه محمد الذي سلك طريق النجاح الشخصي بينما عاش عيسى الرب من أجل الإنسانية[2].

ولقد سيطرت هذه الصورة الغربية عن الإسلام على المستشرقين بحيث أصبحت هي القاعدة العامة، وأمسى الخروج عليها أمرًا استثنائيًّا.

يقول الدكتور ألبرت حوراني: مع بداية القرن التاسع عشر، اتخذ الأوروبيون الدارسون للإسلام طريقين، هما: أن الإسلام عدو منافس للمسيحية؛ والآخر أن الإسلام ليس أكثر من واحد من التصورات البشرية لطبيعة الإله، والعالم. وفي هذا القرن (التاسع عشر) ظهر في- بريطانيا- حافز جديد لفكرة المخاصمة بين الإسلام والمسيحية؛ يتمثل في الروح الدينية الإنجليكانية بين الإنجليز. وقد أصبحت هذه الخصومة آنئذٍ ممكنة على نطاق واسع بسبب نمو وازدياد الأنشطة التبشيرية المنظمة، وبسبب توسع الإمبراطورية في الهند خصوصًا، مما منحها الفرصة السانحة والمسئولية معًا.

وعلى العموم فإن فكرة المبشرين المتشبعين بالروح الإنجيلية كانت مناهضة للإسلام، قائمة بواجب تنصير المسلمين. ويشير حوراني إلى بعض الأمثلة على ذلك منها: توماس فالبي الفرنساوي المتوفى 1891م الذي كان مديرًا لكلية القديس يوحنا في عليكرة، ثم أسقفًا في لاهور، كان يعتقد أن الإسلام والمسيحية مختلفان اختلاف السماء والأرض، ثم استقال من منصبه الكبير ليضطلع بواجبه نحو التبشير بالإنجيل في الجزيرة العربية ذاتها، وقد مات في مسقط. وتلك المناظرة التي جرت بين هنرى مارتن المبشر المشهور المتوفى 1882م وبين علماء الشيعة في شيراز

(1) D.J. Shahas.Johon of Damascus on Islam. Lieden. 1972 PP. 41 - 132.

(2) Islam in European Thought. P. 12.

سنة 1881م. وأهم نموذج لذلك تلك المناظرة العلنية التي وقعت بين كارل فندر والشيخ رحمة الله الهندي سنة 1845م.

ويذكر الدكتور ألبرت حوراني أن كارل فندر كان معضدًا من قبل كبار موظفي شركة الهند الشرقية الإنجليز مما جعله يسلك سياسة نشطة في التبشير والتأليف والنشر، وقد تحدى الشيخ رحمة الله للدخول في مناظرة علنية، ولم تستمر المناقشة بسبب انسحاب كارل فندر منها ويبدو من التقارير أن الشيخ رحمة الله قد ربح المناظرة. كما وأنه قد وضع أمر الثقة في الأناجيل على المحك.

ولم يكن المبشرون وحدهم الذين يحملون الروح الإنجيلية، وإنما كان كثير من رجال الدولة الإنجليز في الهند متأثرين بهذه الروح؛ ومنهم مثلًا: William Maur الذي كان حاضرًا في مناظرة الشيخ رحمة الله وفاندر، ثم كتب بعد ذلك كتابه The Muhammadan Controversy الذي أظهر فيه عداءًا شديدًا للإسلام والمسلمين؛ وقد أصبح هذا الرجل فيما بعد مديرًا لجامعة أدنبرة، وكتب كتابًا بعنوان «Life of Muhammad» وذكر فيه أن الإسلام فيه حق كثير بيد أنه مأخوذ من الأديان السابقة الموحى بها[1].

وكان من أهم الخطوات التي اتخذها رجال الكنيسة في أوروبا لمواجهة مشاعر الانبهار والإعجاب بالإسلام، أن تعمل على تشويه صورة الإسلام، وهذا ما يشير إليه مكسيم رودنسون حيث يقول: إن هذه المشاعر نحو الإسلام قد أدت إلى نتيجتين هامتين: أولاها: السعى نحو وحدة أيديولوجية أوروبية متكاملة في مواجهة فكر الإسلام وحضارته. وأخراها: أن الكنيسة الأوروبية قد عملت – من أجل تثبيت الإيمان المسيحي – على تشويه المنتجات الحضارية للإسلام، وما يصل منها إلى مسامع الغربيين[2].

(1) Islam in European Thought. PP. 18,19.

(2) م. رودنسون عن د. مدكور «دراسات في الفكر الإسلامي ص 18.

وقد نشط اللاهوتيون النصارى- في ذلك الوقت المبكر- ضد الإسلام وراحوا ينشرون الافتراءات والأكاذيب حول الإسلام ونبيه ﷺ، وزعموا أن الإسلام قوة خبيثة شريرة، وأن محمدًا ﷺ ليس إلا صنمًا أو إله قبيلة أو شيطانًا، وغزت الأساطير الشعبية والخرافات خيال الكتاب اللاتين. وهناك في هذا الصدد حكايات في وصف الإسلام مغرقة – كما يصفها الدكتور محمود حمدي زقزوق – في الخيال والضلال، اخترعها خيال جاحد مريض مثل أنشودة رولاند وغيرها من آثار تصف المسلمين بأنهم عباد أصنام، أو أنهم يعبدون ثلاثة آلهة هي: ترفجان ومحمد وأبوللو.

ويطلق – Southern – على هذا العصر (عصر الجهالة) ويذكر أن الشيء الوحيد الذي يجب أن لا نتوقع وجوده في تلك العصور هو الروح المتحررة الأكاديمية، أو البحث الإنساني الذي تميزت به الكثير من البحوث التي تناولت الإسلام في المائة سنة الأخيرة[1]. كان الهدف إذا من دراسة الإسلام محددًا وواضحًا وهو: محاربة هذه التعاليم (الإلحادية)!!!. ودحضها على حد قول بطرس المحترم رئيس رهبان دير كلوني[2].

وقد كان من أبرز الدعاة المتحمسين الذين طالبوا بضرورة تعلم لغة المسلمين لغرض تنصيرهم (روجر بيكون) 1214 – 1294 (جد فرنسيس بيكون رائد الفلسفة المادية التجريبية في الغرب)، وقد كان يرى أن التنصير هو الطريقة الوحيدة التي يمكن بها توسيع العالم المسيحي (على حساب العالم الإسلامي) ولبلوغ هذا الغرض، لابد من توفر شروط ثلاثة هي:

(1) معرفة اللغات الإسلامية.

(2) دراسة أنواع الكفر وتمييز بعضها عن بعض (يعني دراسة الأديان).

(3) دراسة الحجج المضادة حتى يمكن دحضها[3].

(1) ساوذرن: مرجع سابق ص15، 17، 48، 49.

(2) المرجع السابق ص56.

(3) المرجع السابق ص76، وانظر يوسف كرم، الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، ومقدمة هذه الرسالة.

وقد شارك بيكون في طموحاته (ريموند لول 1316 – 1235 Raymond Lull) الذي كانت له جهود كبيرة أثمرت إنشاء كراسي لتدريس اللغة العربية في أماكن متعددة في أوروبا، وكان الهدف من كل هذه الجهود في ذلك العصر، وفي العصور التالية: هو التنصير[1].

وقد أقر مجمع فيينا الكنسي سنة 1312م أفكار بيكون ولول بشأن تعليم وتعلم اللغات الإسلامية، وتمت الموافقة على تعليم اللغة العربية في خمس جامعات أوروبية كبرى هي: باريس، وأكسفورد، وبولونيا، وسلمنكا، بالإضافة إلى جامعة المدينة البابوية.. هذا وقدر لريموند لول أن يعيش حتى ينعم برؤية حلمه يتحقق.. وكان لول يعتقد بأن الوقت بذلك قد حان لإخضاع المسلمين عن طريق التنصير، وبذلك تزول العقبة الكبرى التي تحول دون تحويل الإنسانية كلها إلى العقيدة الكاثوليكية[2].

ومن العجيب أن المستشرقة الأمريكية المعاصرة Margaret Marcus ترى بصراحة أن هذه الأقسام وغيرها لا تزال تقوم بهذه الوظائف في الوقت الحاضر. تقول مارجريت ماركوس: «إن المستشرقين العلماء، والسياسيين الغربيين الدهاة واعون جيدًا لهذه الحقائق؛ كذلك فإن الأقسام الخاصة في الجامعات والمراكز العلمية المنتشرة في أوروبا وأمريكا والمتخصصة في دراسة الإسلام وفهمه، إنما تقوم بذلك من أجل تحقيق غاية واحدة هي: التمكن من العدو لتدميره، وتلك المعاهد الإسلامية ومراكز البحث الإسلامية مشغولة اليوم بتكوين أتباع للغرب في قطر إسلامي تلو الآخر، وهدفهم من وراء ذلك إجهاض القضية الإسلامية من داخلها، واحباط أي محاولة لبعث حقيقي إسلامي»

«The learned Orientalists and shrewd politicians of the West are thoroughly aware of these facts. Hence, the special departments in universities and seminaries scattered throughout Europe and Amer-

(1) د. زقزوق مرجع سابق ص28.

(2) المستشرق الألماني يوهان فك: (الدراسات العربية في أوروبا) عن: الاستشراق ص28.

ica dedicated to understand Islam only to enable its enemies to destroy it. These «Islamic Institutes›* and «Islamic Research Centres» are now busy establishing their satellites in one country after another, the purpose of which is to subvert the Islamic cause from within and frustrate any attempts for a genuine Islamic renaissance» [1].

لا ريب إذًا أن الدافع الأول لنشأة الاستشراق في الغرب هو الدافع الديني، فقد بدأ بالرهبان كما رأينا، واستمر كذلك.. وهؤلاء كان أكبر همهم الطعن في الإسلام، وتشويه محاسنه، وتحريف حقائقه، ليثبتوا للجماهير الخاضعة لزعامتهم أن الإسلام دين لا يستحق الانتشار، وأن المسلمين قوم همج لصوص سفاكو دماء، يحثهم دينهم على الملذات الجسدية، ويبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي.

ثم اشتدت حاجتهم إلى هذا الهجوم في العصر الحاضر، بعد أن رأوا الحضارة الحديثة وقد زعزعت أسس العقيدة المسيحية عند الغربيين، وأخذت تشككهم في كل التعاليم التي كانوا يتلقونها عن رجال الدين عندهم فيما مضى، فلم يجدوا خيرًا من تشديد الهجوم على الإسلام لصرف أنظار الغربيين عن نقد ما عندهم من عقيدة وكتب مقدسة، وهم يعلمون ما تركته الفتوحات الإسلامية الأولى، ثم الحروب الصليبية، ثم الفتوحات العثمانية في أوروبا بعد ذلك في نفوس الغربيين من خوف من قوة الإسلام، وكره أهله، فاستغلوا هذا الجو النفسي وازدادوا نشاطًا[2].

كان هدف الاستشراق إذًا- كما صرح المستشرقون أنفسهم- هو العمل من أجل إنكار المقومات الثقافية والروحية للأمة الإسلامية، والتنديد والاستخفاف بها[3]. وأن ما يشعر ويفكر به الغربيون نحو الإسلام- اليوم- متأصل في انفعالات وتأثيرات ترجع إلى خبرات سابقة عميقة الجذور في الفكر الأوروبي،

(1) Islam and Orientalism, PP. 16 - 17,1981.Anarkali

(2) د. مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون: مالهم وما عليهم، ص16 ط2 – المكتب الإسلامي.

(3) د. محمد البهي: المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام؛ ص39 طبع وهبة.

ويذكر الدكتور عرفان عبد الحميد: أن من سخرية التاريخ أن يظل هذا الحقد القديم ضد الإسلام قائمًا بطريقة لا شعورية في زمن خسر فيه الدين القسم الأكبر من تأثيره في مخيلة الأوروبي [1]. ويقر المستشرقون بهذه الحقيقة؛ وهي تعصب المستشرقين من رجال الدين الغربي ضد الإسلام، وتحاملهم عليه، وتسميم عقول الغربيين ووجدانهم ضده[2] كما يقررون أن هناك محاولات من بعض المستشرقين لتجاوز هذا التحيز الجاهل والتعصب البغيض ضد الإسلام، ولكن هذه المحاولات في معظمها تتعثر بموروثاتها الثقيلة التي تكبلها منذ ما يربو عن الألف عام.

يذكر (Norman Danial) أنه رغم المحاولات الجدية المخلصة التي بذلها بعض الباحثين في العصور الحديثة للتحرر من المواقف التقليدية للكتاب المسيحيين من الإسلام، فإنهم لم يتمكنوا من أن يتجردوا كليًّا عنها كما قد يتوهمون[3].

ويؤكد ذلك المستشرق المعاصر مونتجمري واط M.Watt، إذ يقول: «منذ القرن الثاني عشر جد الباحثون الغربيون من أجل تقويم الصورة المشوهة التي تولدت في أوروبا للإسلام. ولكن رغم الجهد العملي المبذول فإن آثار الموقف المجافي للحقيقة والتي ولدتها كتابات القرون الوسطى في أوروبا لازالت قائمة فالبحوث والدراسات الموضوعية لم تقدر بعد على اجتثاثها كليًّا »[4].

ويستطرد (Watt) قائلًا: «لقد قامت في صفوف المستشرقين في السنوات الأخيرة محاولة إيجابية تحاول النفاذ بصدق وإخلاص إلى أعماق الفكر الديني للمسلمين؛ بدل السطحية الفاضحة التي صبغت دراساتهم السابقة، ولكن- ورغم ذلك- فإن التأثر بالأحكام التي صدرت مسبقًا على الإسلام، والتي اتخذت صورة

(1) د. عرفان عبد الحميد، المستشرقون والإسلام ص4 ط2، المكتب الإسلامي بدمشق.

(2) انظر حديث (مونتجمري واط) المفصل في نهاية هذا الفصل.

(3) Norman Daniel. The Arabs and Medieval Europe. London. 1975 Islam and the West. Edenburgh. 1960.

(4) Watt.W. Muhammad: Prophet and Stateman. Oxford. 1961.P3.

(كلشيهات تقليدية) في الغرب لا زال قويًّا في بحوثهم، ويصعب تجاوزها في أية دراسة لهم عن الإسلام[1].

أما المستشرق (برنارد لويس) فإنه يعبر عن ذلك في سخرية مريرة قائلًا: «لا تزال آثار التعصب الديني الغربي ظاهرة في مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين، ومستترة في الغالب وراء الحواشي المرصوصة في الأبحاث العلمية»[2].

ومهما يكن من أمر فإن العلاقات بين الاستشراق والتبشير متشابكة متداخلة، وإذا نظرنا- مثلا- إلى المجلات الاستشراقية المتخصصة وجدنا المبشرين المعروفين من بين أهم وأبرز كتابها، ونفس الشيء يقال عن المجلَّات التبشيرية المتخصصة؛ بحيث يصعب التمييز في الغرض والمجال بينهما، ونذكر على سبيل المثال مجلة «The Muslim World» الأمريكية التي رأس تحريرها المستشرق الدكتور صمويل زويمر، ثم خلفه الدكتور كينيث كراج، ومجلة: «Middle East Studies» (تصدر في نيويورك) و «The Middle East» ومجلة: «Journal of the Oriental» ومجلة: «American Near Eastern Studies» التي تصدر في شيكاغو..

يتحدث التقرير الصادر عن مؤتمر قسطنطينة للمبشرين 1912م عن مجلة العالم الإسلامي: «The Muslim World» قائلًا: «نحن نرجو أن تكون هذه المجلة المنبر العام للإرساليات التبشيرية إلى المسلمين (على الأقل تلك الإرساليات التي تتمركز في بلاد تستعمل اللغة الإنجليزية).... وأي عجز في ميزانية طبع هذه الدورية تلتزم الإرساليات متضامنة بتغطيته».

(1) مقدمة كتابه: Mohammadanism نشر أكسفورد.

(2) له: (العرب في التاريخ) ص63، وانظر: (المستشرقون والإسلام) للدكتور عرفان ص5، وانظر بارت: المرجع السابق ص1.

We would urge that this quarterly be adopted as the Common organ of missions to Moslems(at least of those whose home base uses English) as a means of Communication of thougt and methods and of announcements of literature prepared in other lands. Any deficit in the publication of this quarterly should be covered by contributions from the missions co_operated[1].

ويتحدث التقرير الصادر عن مؤتمر المبشرين الذي عقد في حلوان بمصر 1912م عن مجلة العالم الإسلامي في التوصية رقم (2) قائلًا:

منذ ثلاث عشرة سنة تمثل هذه المجلة منتدًى مفتوحًا لكافة المنصرين المنتشرين في كل أنحاء العالم الإسلامي. ولقد نشرت مقالات تتعامل مع الأدب المسيحي ومسألة تنصير العالم الإسلامي، تلك المسألة البالغة الأهمية. كما أنها حققت تداولًا واسعًا، وتساند كل أولئك المهتمين بتنصير الشرق الأدنى.

ويثق هذا المؤتمر أن كل الجمعيات الممثلة فيه والمبشرين المستقلين سيولون هذه المجلة مساندتهم العميقة».

For thirteen years this magazine has been an open forum for scattered workers in every part of the Moslem World. It has published a number of articles dealing with Christian Literature and the problem of Moslem evangelization which are of permenent value. The magazine deserves a larger circulation,and the support of all

(1) Conferences of Christian Workers among Moslems, 1924, P.63 (A brief Account of the Conferences together with their finding and Lists of members) published by the Chairman of the International missionary Council, New york, 1924

وهذا الكتاب وثيقة مهمة تحتوي على خطة المبشرين في العالم الإسلامي وقراراتهم وتوصياتهم، طبع طبعة خاصة للتوزيع الخاص والمحدود سنة 1924م؛ كما جاء في الكتاب ذاته، وقد عثرت على نسخة منه في مكتبة الدكتور محمد حميد الله في مجمع البحوث بباكستان.

obeikandl.com

these interested in Evangei zating the Neaar East/The Conference trusts that all Socities here represented and individual missionary will lend the magazine hearty support».

وأخيرًا فإننا نسجل: أن كل باحث عن تاريخ الاستشراق يستطيع أن يتبين بما لا يدع مجالًا للشك أن الهدف الديني كان وراء نشأة الاستشراق، وقد صاحب الاستشراق طوال مراحل تاريخه، ولم يستطع أن يتخلص منه بصفة نهائية[1].

ملاك القول إذًا، أن الاستشراق ولد أولًا في سراديب الأديرة والكنائس، ووظفه المستشرقون من رجال الدين في الغرب لتحقيق هدفهم في محاربة الإسلام بالافتراء الحاقد عليه، والدس الرخيص، والكذب، في محاولة لطمس وتشويه حقائقه، ووضع الحواجز والسدود بين الشعب الأوروبي وتفهم الإسلام كما أنزله الله تعالى وبلغه رسوله ﷺ. وقد نجح هؤلاء في تحقيق أغراضهم وحرموا العالم الغربي من نعمة الإسلام وهديه.

..... لقد قام الاستشراق أساسًا على أن الإسلام من وضع محمد،.... فالإسلام دين بشري، وعلى أن الرسول لفق فيه بين اليهودية والمسيحية، وأنه حرف في نقله تعاليم هاتين الديانتين؛ إما لأنه لم يستطع فهمهما- كما يذكرون- وإمّا لأن محمدًا نفسه لم يرتفع إلى مستوى عيسى حتى يتصوره على حقيقته، ولذلك أنكر محمد على عيسى أنه ابن الإله، وبالتالي أنكر التثليث، وتشبث بالتوحيد وببشرية الرسول، نعم، قام الاستشراق على مثل هذا الأساس بشكل عام، ولكن المستشرقين يختلفون فيما بينهم في تصوير آرائهم، وفي تقرير شروحهم لمباديء الإسلام، وأشدهم حدة وعاطفة وهوًى جامحًا وحيدة عن أدب الكتابة...، فضلًا عن البعد عن الأسلوب العلمي في الدراسة والحكمة: المستشرقون الكاثوليك في أوروبا وأمريكا[2].

(1) د. مدكور: دراسات في الفكر الإسلامي، ص87.

(2) ينقل الدكتور ألبرت حوراني في كتابه (الإسلام في الفكر الأوروبي) نصوصًا كثيرة في غاية الأهمية؛ تبين الصورة الغربية عن الإسلام والقرآن ومحمد ﷺ، ص6: ص60 وانظر كذلك: .Dr Henry Stubbe، Rise and Progress of Mohanetanism، Lahore 1911 وهو كتاب في غاية الأهمية وقد كتب في القرن الثامن عشر وفيه تفنيد لوجهة النظر الغربية المتحاملة ضد الإسلام، فهو (نقد ذاتي للغرب).

يقول كيمون المستشرق الفرنسي الكاثوليكي في كتابه (باثولوجيا الإسلام): «إن الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس، وأخذ يفتك بهم فتكًا ذريعًا، بل هي مرض مريع، وشلل عام، وجنون ذهولي يبعث الإنسان على الخمول والكسل، ولا يستيقظ منه إلا لسفك الدماء، ويدمن على معاقرة الخمر، ويجمح في القبائح، وما قبر محمد إلا عمود كهربائي يبعث الجنون في رؤوس المسلمين، ويلجئهم إلى الإتيان بمظاهر الصرع العامة والذهول العقلي، وتكرار لفظة (الله) إلى ما لا نهاية، والتعود على عادات تنقلب إلى طبائع أصيلة: ككراهة لحم الخنزير والنبيذ، والموسيقى، وترتيب ما يستنبط منه من أفكار القسوة والفجور في اللذات...» [1].

لا شك إذًا، أن أوائل المستشرقين يتحملون وزر تشكيل موقف العداء التقليدي الذي يقفه الغرب من الإسلام والشرق، كما أنهم يتحملون كِبر تأجيج هذا العداء وتأريثه، وتغذيته، والنفخ فيه...

لا جرم أن هؤلاء المستشرقين قد تسببوا في حرمان ذويهم ومواطنيهم من خير عميم، كما تسببوا في حرمان الإنسانية – الغرب والشرق – من التنعم بالحب والسلام والإخاء قرونًا طويلة.

ولقد سأل الدكتور عبد الحليم محمود سؤالًا معقولًا فقال: إن الإسلام واضح جلي، وإن تعاليمه سهلة ميسورة تنسجم مع العقل والمنطق، فما السر في عدم أخذ الأوروبيين بهذا الدين، وعدم اقتناعهم به في سرعة سريعة وكثرة هائلة[2]؟!!

لا شك أن ما بذله المستشرقون المبشرون من جهود هائلة لتشويه حقيقة الإسلام أمام المواطن الغربي كانت من أهم الأسباب التي حالت دون ذلك.

والملاحظ أن أساليب جديدة قد حلت اليوم محل الأساليب المعروفة السائدة، ونترك المجال للمستشرقة الأمريكية المعاصرة (Margaret Marcus)

(1) تاريخ الأستاذ الإمام ح1 ص9 عن: (الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار) ص45.
(2) أوروبا والإسلام ص41، طبعة دار المعارف.

لتوضيح ذلك، فهي تقول:

«إن العالم الغربي مستمر في حرب الإسلام بأكثر الأسلحة تطورًا، وعلى مستوى متقدم من الأستاذية، إذ يوجد ما لا يقل عن ثماني مجلات دورية أمريكية وأوروبية مكرسة كليًّا لذلك، وثنتان مخصصتان بصورة جزئية للهجوم على الإسلام؛ وهذه المجلات هي:

العالم الإسلامي (هارتفور كنتيكت)، ودراسات الشرق الأوسط (نيويورك) وجورنال الشرق الأوسط (واشنطن) وجورنال جمعية الدراسات الشرقية (نيوهيفن كنيكتكت) ودراسات الشرق الأدنى (شيكاغو).

كما أن دور النشر الغربية تصدر فيضًا من الأدبيات التي تتناول العالم الإسلامي، وما لم تكن الدراسة المنشورة تحقيقًا لنص قديم لمؤلف مسلم أو ترجمة لكتاب إسلامي، فإنها تحمل ملامح التحيز والخصومة التي تميز النظرة الغربية تجاه الإسلام، والتي تتمثل في أن: القرآن الكريم من عمل أو اختلاق محمد، وأن الحديث النبوي موضوع ومنحول، وأن الإسلام ليس أكثر من حركة مقاومة سياسية اقتصادية للبدو المقهورين، وليس حركة دينة. وأن الإسلام قد استلب القوة الابداعية الخلاقة للشعوب التي فتحها، وأن الإسلام ليس شيئًا أكثر من تلك الممارسات الراهنة للمسلمين المعاصرين؛ الخرافية الجبرية القديمة، اللاعلمية، واللاعصرية، والعائقة للتطور، والتي هي بحاجة إلى إصلاح مثل ذلك الإصلاح البروتستانتي الذي اجتازته المسيحية.

وأن أفضل ما في الإسلام ذلك التصوف الفردي المتحلل من أحكام الشريعة، المؤكد على سقوط الإنسان، وحاجته إلى مخلص علوي، ورفضهم تهمة التهالك على الخوض في الحروب، ومذهبهم السني المنغلق، وفوق كل ذلك فالإسلام يمثل أحط Inferior مستوى خلقي لتصوراته المادية الحسية عن الجنة، ولتدني وضع المرأة في الإسلام.

كما أن تحريمه للربا يمثل عقبة أمام التصنيع، كما أن خلق العفة والابتعاد عن للخمر يقفان حائلًا دون التحضر والحرية الحديثة، وأن جموده العقيدي -Dog matism ضد التقدم. وأن الإسلام يقود أتباعه البؤساء المغلوبين على أمرهم إلى الهوس العقلي بتعليمهم أن الله يقف معهم، وأنه خالق كل شيء (مؤلف أحداث التاريخ). كل هذه الأباطيل دائرة بصفة خاصة مع كل بحث غربي للدين أو الثقافة، أو التاريخ، أو الحضارة الإسلامية.

ومن جانب آخر فإن الدراسات الغربية قد نشرت الأمراض القومية والعلمانية بتعليمها أن المسلم إنما هو عربي، أو فارسي، أو تركي، أو هندي قبل أن يكون مسلمًا. وأن تركيزهم الشديد على الدراسات الفارسية يرمي إلى فصل الشيعة عن السنة تمامًا. ودفاعهم الحماسي المستميت عن الكمالية التركية، وإبرازهم ضياء جوكيلب ومصطفى كمال أتاتورك على أنهم مصلحون... ومعارضتهم للباكستان يعطي درسًا أنهم يريدون للمسلم أن يتخلى عن إرادة السيادة، وأن يوطن نفسه على أن يعيش في أقلية مقهورة. ولقد أخذ الغرب يبشر حديثًا بالعولمة ويزعم أن الإسلام لن يستطيع مشاركة الأديان الأخرى في الوجود ما لم يصلح نفسه.

ولقد خضعت البلاد الإسلامية خلال فترة طويلة للحكم الأوروبي، وخضعت نظمهم التربوية والعلمية تمامًا لسيطرة غزاتهم ومستعمريهم؛ الذين اهتموا غاية الاهتمام بإقناع الأجيال الجديدة بالتفوق المطلق للحضارة الغربية الحديثة، وتربيتهم على التخلي عن القيم والمثل التي جاء بها الإسلام، وقد نجح الأسياد الغربيون- بهذه الطريقة- في خلق أدوات لهم في كل بلد إسلامي. وعندما منحت الحرية السياسية لهذه المستعمرات أخيرًا، سلمت القيادة آليًّا لهذه الطبقة المستغربة.....

وبعد الحرب العالمية الثانية، عدل المستشرقون والمبشرون خططهم في تغيير أفكار الأفراد المسلمين إلى وجهة نظرهم وأفكارهم، إلى تغيير الإسلام نفسه بإعطاء تفسيرات له مختلفة تمامًا، وشن حركة منظمة لإعادة بنائه من الداخل. وقد

تبنت معظم كتابات المستشرقين المعاصرة هذا الطريق[1].

(1) مارجرت ماركوس في كتابها: Islam and Orientalism ص20 – 24، 1981 ونسوق فيما يلي هذه النصوص التي ترجمناها بحروفها كما كتبتها هي:

«The Western World continues to fight Islam whith increasingly sophisticated weaponry. On the advanced level of scholarship. Islam is being bombarded by no less than eight American and European periodicals devoted entirely and two particularly to Islamic Studies. The former are: The Muslim World. (Hartford. Connecticut).Middle East Studies. (New York. N. Y.) The Middle East Jounal. Washington D.c and the latter are Jounal of the Oriental Society. (New Haven. Connecticut) and American Near Eastern Studies.(Chicago).

The Western Publishing houses print a steady stream of literature dealing with Islam and the Muslim peoples. Unless the publication is a pure edition of a text by a classical Muslim author or a translation of one. it bears definite marks of antagonism and prejudice characteristic of Western attitudes to Islam.

That the Holy Quran is the Work of Muhammad. that the Hadith literature is forged; that Islam is a mere politico - economic outburst by impoverished beduins rather than a religious movement. That Islam stifled the artistic creativity of the people it conquered; that Islam is nothing but the current practices of its present people; that it is superstitious. fatalistic. that is unscientific. un - modem. and opposed to development; that it stands in need of the same reformation Christianity underwent: that the best in Islam is Sufism with its individualism. anti - Shari'a emphasis on the falleness of man and his need for a master - savior. and repudiation of the warlike and exclusivist Sunnism; and above all that Islam stands on an inferior moral level with its materialistic conceptions of paradise and low status of Women. that its prohibition of Interest is anti - industrialisation. its puritanical and anti - alcohol ethic is against urbanization and modern liberalism. its dogmatism is anti - progressive. and it drives its miserable and vanquished to people into psychosis by teaching them that God is on their side and that He is the author of history -all these falsehoods are current In practically every Western presentation of the religion. culture. history and civilization of Islam.

In another dimension. Western works spread the nationalist and secularist diseases. teaching that a Muslim is an Arab. Persian. Turk or Indian before he Is a Muslim. Their long emphasis on Persian studies is designed to separate Shi'ah from Sunna. to teach that Islam as given by the Prophet is desert - crude. that Persian Shi'ah esotericism had refined it and made it viable. Their enthusiastic

ويؤكد د. إدوارد سعيد في كتابه: Orientalism «أن الصورة المشوهة للإسلام والعرب مازالت مستمرة في الدراسات الاستشراقية وفي وسائل الإعلام في الغرب بوجه عام، وفي أمريكا بوجه خاص. وقد استشهد على ذلك بأمثلة عديدة حفل بها كتابه، وانتهى إلى التأكيد بأنه مازالت تنشر الكتب والمقالات دون توقف عن الإسلام والعرب، وهي لا تختلف إطلاقًا عن الجدل الخبيث المعادي للإسلام في القرون الوسطى وعصر النهضة. يقول هاري دورمان: «لن يكون تركيز المبشرين في السنوات القليلة القادمة على تغيير ديانة أفراد المسلمين، مثل عنايته بتغيير

---

defence of Turkish Kemalism pleads incessantly that Zyia Qokalp and Mustafa Kemal Ataturk were reformers long overdue and their opposition to Pakistan is dictated by the lesson that the Muslim must give up his will to sovereignty and be content to live as a vanquished minority. Most recently. Western preaching has taken the line of ecumenism and the claim that Islam - without reform - is incapable of co - existence with other religions.

During the long period the Muslim countries were ruled by Europe. their educational systems fell completely under the sway of the conquerors who took great care that new generations would be thoroughly convinced of the invincible supremacy of modem Western civilization and taught them to despise all the cultural values Islam stands for. In this way European Masters successfully created within each Muslim country. their puppets. When politcal freedom was at last granted to the colonial possessions. the leadership automatically fell into the hands of this same westernized class which today dominates all Muslim countries. Their material support from the United States.. Great Britain. France and Russia. Whenever they achieve any particular are rewarded with encouraging pats on success. they the back.

Since the second world war. the orientalists and missionaries have shifted their efforts from trying to change individual Muslims and concert them to their views to changing Islam itself through providing it with a totally different interpretation and launching an organized movement for Its reconstruction from within.

الإسلام نفسه»[1].

Books and articles are regularly published on Islam and the arabs, that represent absolutely no change over the virulent anti Islamic polemics of the Middle Ages and Renaissance» (P.287)

❊ ❊ ❊

(1) Harry Dorman: Towards Understanding Islam P.I 25

يقول:: Harry Dorman

« If the missionary is to be sensitive to the attitudes of reverences and humility where ever they are already found, he must be no less sensitive to the various reform movements in Islam and be ready to cooperate with them whenever it is possible and suitable to do so.

Reform movements are earenest attemps to re - interpret religious teachings in the light of present experiences, or to interpret new experience in the light of religious teachings, and they are therefore of primary importance for the missionary. It is possible that one of these reform movements will have more significance for an eventual Muslim understanding of Christ than can now be imagined. K may even be that in the next few years, the chief contribution of the missionary in Muslim lands will not be so much the conversion of individual Muslims as the conversion of Islam itself. Here is a field of opportunity which cannot be neglected. An interesting line of investigation would be to study whether it is necessary for a Christian to love Muslims but hate Islam or it is possible to love Islam too and whether work for its regeneration.

«Almost all the recent works by orientalists have adopted this approach.It is not surprising to find our own self - appointed reformers using the same methods».

obeikandi.com